



من حقهم أن يسألوا هذا السؤال ونحن من حقنا أن نذكرهم أو نخبرهم إن لم يكونوا يعلمون جواب هذا السؤال ومن حقنا عليهم أن ينصلحوا إلى الجواب ويتفكروا فيه. لقد تسلحنا عندما كانت تحاصر شوارعنا من كل منافذها بالحواجز ويخترق رصاصهم الجدران والنواخذة، ويُقتل الأطفال وهم نائمون على فرشتهم في غرفهم، ليس ردًا على رصاص من أحد وإنما ردًا على المظاهرات أو التكبير.

وتسلحنا عندما كنا نرى وبعد أن تبدأ المظاهرات بدقائق .. أرتالاً من باصات الأمن الخضراء المكتظة بالشبيحة المدججين بالعتاد .. يصلون إلى المظاهرات ويتسابقون في إرواء غليلهم بفتح النار على رؤوس أطهر شباب الحارة، ونرى أمامنا الشباب تتتساقط كما تتتساقط الطيور وليس بيده أحد منا حيلة يرد هؤلاء المفترسين. وتسلحنا بعد أن كنا نراقب من النواخذة الخفية الشبيحة يتجلوون في حاراتنا بعد أن يفضّوا المظاهرة برصاصهم وبعد أن نسحب جرحانا وشهادعنا .. يهتفون لبشار ويشتمون ديننا وعقيدتنا.. وتسلحنا عندما كانوا يدخلون بسيارات الشرطة ويلتقطون ما يقع تحت أيديهم من أ Nigel وأفضل الشباب ويضعونهم مثل البضاعة في سياراتهم يكسونهم بذلك واحتقار وضرب وتنكيل، وأهل الحارة ينظرون إليهم في خفاء.. والألم والأسى يعتصر قلوبهم والدموع ينسكب من مقلهم.

وتسلحنا بعد أن رأينا أهالي المعقلين وهم يسرعون إلى سماعة الهاتف حين يرن لعل خبراً يأتيهم عن ولدهم الشاب الذي نشأ كالزهرة بين إخوته وفي أحضان أبيه وأمه، ثم كان نصيبه الاعتقال من قلب مظاهرة كان يهتف فيها مع أصحابه ضد الظلم والاستعباد، نعم يسرعون بل ويتسابقون إلى سماعة الهاتف .. ليخرج لهم صوت ينهق يسأل عن صاحب البيت .. وتراهم في تلك اللحظة يقفون جميعاً هامدين.. حتى يتقدم الأب مرتجفاً ممسكاً بسماعة الهاتف.. يتسلم خبر موت ولده وفلذة كبده من عنصر الأمن ويتسليم أيضاً دعوة من هذا الأحمق لاستلام الجثة، لتكون الجثة في اليوم التالي بين أيديهم ، يتحلقون حولها شاردين يحاولون أن يتصوراً الحالة التي كان فيها ولدهم أو أخيهم وهو يموت، وكم يوماً بقي حتى مات وهو يعذب ويُجرح ويتألم.

تسلحنا بعد أن صرنا لا نأمن على أنفسنا ونحن في المسجد من الرصاص وبعد أن كنا نرى كيف تتفلت علينا قطعان الأمن ونحن داخل المسجد يوم الجمعة وكيف يتطاير الرصاص حول المسجد كالغبار ويدخل عبر نواخذة، وكم من الأيام بقي

المصلون فيها حتى المغرب في المسجد يتسلل الواحد تلو الآخر بصعوبة بالغة من أسطح الجيران على أمل أن يصل بيته قبل أن يصطاده قناص حقير. تسلحنا عندما كنا نرى الإنسان منظرًا على الأرض مصاباً لا يقدر على الحراك والدماء تتدفق من عروقه، ولا أحد يجرؤ على الاقتراب منه لإنقاذه لأن القناص الأرعن المجرم يريد له الموت. تسلحنا حينما رأينا جرحانا على الأرض ينزفون ونحن ننتظر إليهم نجدة سائق سيارة يجازف بحياته لإنقاذ هؤلاء الجرحى وإيصالهم إلى إحدى المشافي الميدانية، وعندما يأتي سائق تغلبه مشاعره على التفكير في مصيره المحظوم إن أمسكت به عصابات الأمن، نحمل الجريح أو الجرحى معه وكلنا قلق وخوف عليه، لترى الأخبار بعد ساعات أنه اعتقل هو والجرحى،! وبعد أيام نتسلم الذين كانوا جرحى شهداء من المسلح العسكري، أما السائق فهو أيضاً شهيد لكنه مقطوع ومعدب وقد سرت منه بعض الأعضاء.

تسلحنا بعد أن رأينا القناص يمسك بقناصته الحارة كلها عن الحركة ولا يجرؤ إنسان طيلة ساعات أو أيام ليخرج من بيته أو يقترب من نافذته، وكل ذلك لمنع تظاهرة يقوم بها الناشطون لساعة من الزمن. تسلحنا بعد أن رأينا كيف يعتقلون أسرة كاملة مع الأم والأولاد والأطفال ليجبروا زوجها المنشق عن الجيش على تسليم نفسه. تسلحنا بعد أن رأينا البنت يمسكونها ليجبروا أباها الذي يعمل في توزيع المساعدات لأطفال الشهداء الأيتام ويهددونه باغتصابها أو ذبحها إن لم يسلم نفسه. تسلحنا بعد أن رأيناهم كيف يحاصرن حارة كاملة ويقطعون عنها الكهرباء والماء وجميع أنواع الاتصالات لأيام، عقوبةً على خروجها في التظاهرات، وحينما تتفطر قلوب أهل الحارات الأخرى عليهم ويجازفون بسلوك بعض الطرق لإدخال الخبز ويصادفون في طريقهم قطعاناً من الأمن تجد تلك القطعان تلاحمهم وكأنها عثرت على عصابة إجرام مرعبة فيكبلونهم ويعتقلونهم، غالباً يكون مصير هؤلاء القتل في المعقلات.

وتسلحنا عندما كان الجيش يقتحم الحارة بآلياته وبأصواته الخضراء وحاملات جنده ويجمع الرجال والشباب يضرفهم ويعذبهم ويعتقل ما يحلو له منهم، ويدخل ضباطه والعناصر معهم إلى البيوت يفتشون ويسرقون ويختارون من البنات ما يشاؤون ويتصفبونها. وتسلحنا عندما كان يقف الضابط ويعطي أوامره للأم أمام أولادها وأمام زوجها وأمام الأسلحة المتوجهة إليهم جميعاً.. بالاستجابة لنزواته وأخلاقه الحيوانية النتنية ورائحته الخبيثة ومنظره المقزز ويجبرها على الرضوخ. نعم تسلحنا بل إننا كنا مستعدين لنفتح الغاز على الجيش إن دخل إلى بيتنا ولو أدى ذلك إلى القضاء علينا معه، وكنا مستعدين لندافع عن عرضنا وأنفسنا بأي طريقة وبأي حل.

نعم تسلحنا عندما كنا نرى أحد شبابنا المتظاهرين على قناة الدنيا معترضاً بحمله السلاح أو تهريبه له أو إطلاق النار، ونحن نعلم علم اليقين بل ورأيناهم بأم أعيننا أنه اعتقل من مظاهره ولم يمسك بيده سلاحاً لا في طفولته ولا في ربيع شبابه حتى اعتقلوه وعمره لا يبلغ العشرين. تسلحنا بعد أن رأيناهم كيف يجبرون أولادنا على الاعتراف بأنهم هم من يطلق النار على المدنيين، حيث كانت تصلكنا أخبار من داخل السجن عن الوسائل الإجرامية التي يمارسونها ليقبل البوح بتلك الاعترافات الزائفة . نعم تسلحنا لما رأيناهم يقتلون أبناءنا ثم يتهموننا نحن بقتلهم وبحمل السلاح.. فحملنا السلاح وكان خيراً لنا من أن يكون حملنا له مجرد اعترافات يلصقونها بنا، بل إن حملنا له حقيقة كان أفضل لنا من أن تكون قنوات الأسد السفيهية هي من تحملنا إياه كذباً وزوراً وبهتاناً.

تسلحنا وبعد ذلك طلبنا المزيد من السلاح والعتاد عندما بدأ الأمن لا يجرؤ على اقتحام حاراتنا خوفاً من مسدساتنا أو ما كنا حصلنا عليه من بعض البنادق الخفيفة، وعمد إلى الاستعانة بآلياته الثقيلة وصار يقصد شبابنا بالحرب والقذائف ويفتلهم بها بدل الرصاص. تسلحنا وطلبنا المزيد من العتاد حينما بدأ الشبيحة وتحت حماية آليات الجيش بخطف بناتنا ونسائنا.

تسلحنا حينما كانت ثمة بيوت مخصصة للشبيحة عند كل حاجز جيش وبحمائه يجتمعون فيها البنات والنساء المخطوفات ويمارسون عليهم كل أنواع التعذيب والرذيلة. تسلحنا وطلبنا المزيد حينما وجدنا مجموعات من الشبيحة تقتحم بيوت أهالينا وأسرنا وتذبح العوائل كما تذبح النعاج. تسلحنا عندما رأينا طفلاً نجى من الذبح بعد أن اختبأ في سقية البيت يتحدث بل يتلعلم بالحديث وهو يقص ويبيكي ويشهق كيف رأى أمه وأباءه وإخوته ممددين على الأرض مقطعة أو رديئهم تتدفق منها الدماء ولا يسمعونه ولا إليه يتحدون !! تسلحنا بعد أن رأينا أطفالاً يبحثون لهم عن قريب أو غريب يتعرف عليهم يكفلهم بعد أن صار أبواه وإخوته في عداد المذبوحين .. تسلحنا وطلبنا التسلیح بأقوى أنواع الأسلحة ونحن نرى الأسر الآمنة تتهدّم بهم البيوت ويمطرُون بشتى أنواع الصواريخ والقذائف دون عقل أو رحمة أو أية مشاعر إنسانية. تسلحنا عندما صرنا إذا أردنا أن ننتقل ضمن مدينتنا حمص مثلاً من حارة لأخرى لا بد لنا من المرور على أربعة أو خمسة من الحواجز أصحاب الوجوه المربردة الخبيثة لنقف عند كل حاجز عشرات من الدقائق صاغرين ننتظر رحمة سفيه أحمق يتحكم بمشاعرنا ويتمنع بتنفّيّشنا.

تسلحنا عندما رأينا البعض يمرون على الحاجز فيفتح لهم ويشير لهم بالمرور ثم يطلق النار عليهم تشفياً مما رأه على هويته من عنوانه وقيده فيرديه قتيلاً . تسلحنا وطلبنا التسلیح لنحرر البلد من عصابة الإجرام التي تتلذذ بإذلال واحتقار وقتل واستعباد أبناء وطنها. لذلك تسلحنا ولذلك لم نر حالاً غير التسلیح إلا إن أراد من يسأل عن سبب تسلحنا فناعنا، ورضي بسحق كرمتنا وهتك أعراضنا، وسرّه أن تُدفن ثورتنا مع أجساد شهدائنا!! هو جوابنا عن سؤالهم .. لم يكن تأليفاً أو أفكاراً إنما كان واقعاً عشناء على مدى أشهر طوال في حمص ، لقد كلف هذا السؤال للإجابة عليه دماء ودموعاً، وآلاماً وأنيناً وقداً وتشريداً وزروحاً.. وليس في الجواب إلا الواقع كما هو دون أي خيال أو مبالغة.

المصادر: